

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

دور علماء المالكية في المغرب الاسلامي

فقهاء المغرب الأوسط وموقفهم من بعض قضايا المجتمع (5هـ-8هـ/11م-14م)

Maliki Scientists in the Islamic Maghreb

Middle Maghreb jurists and their position on some issues of society (5AH-8AH/11AD-14AD)

أحمد شارف*

جامعة الشهيد زيان عاشور-الجلفة (الجزائر)، ahmedcharef71@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/01

تاريخ القبول: 2022/10/15

تاريخ ارسال المقال: 2022/09/05

* المؤلف المرسل

الملخص:

شهد المغرب الأوسط تيارات مذهبية مختلفة، فكان لفقهاء هذه التيارات الأثر الكبير في نشأة النظم السياسية (الرسومية الاباضية، والعبودية الشيعية) وبداية من منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي تعود بلاد المغرب للمذهب المالكي، وينفرد فقهاء المالكية في التأثير والتوجيه، في هذا المقال نبحت عن موقفهم من بعض القضايا العارضة والمطروحة ذات الطابع الاجتماعي، ومن تلك القضايا الموقف من الزحف الهلالي وما نجم عنه، والموقف من حالات التردّي التي آلت إليها المجتمع إما بسبب الحروب أو بسبب الأوبئة والمجاعات، بالإضافة إلى الموقف من الهجرة وأهل الذمة.

الكلمات المفتاحية: فقهاء ؛ المالكية ؛ المغرب الأوسط ؛ المجتمع

Abstract :

The Middle Maghreb witnessed different sectarian currents, and the jurists of these currents had a great impact on the emergence of political systems (Rustami Ibadi, Shiite Ubaidiya) and beginning in the middle of the fifth century AH / eleventh century AD, the countries of the Maghreb returned to the Maliki school, and the Maliki jurists were unique in influence and direction. The Maliki jurists are clear in the relationship to political authority, so how was their position on some of the occasional and proposed issues of an economic and social nature, and among those issues the position on the crescent encroachment and what resulted from it, and their position on the cases of deterioration that society has deteriorated either because of wars or because of epidemics and famines, in addition to the situation of immigration and the people of dhimma.

Keywords : Maliki jurists, position, issues, economy, society.

مقدمة:

منذ مطلع القرن الثاني للهجرة/ الثامن ميلادي، والمغرب الأوسط يشهد تحولات سياسية، وفقهية وعقدية شتى، فشهد ظهور التيارات الخارجية والشيوعية والاعتزالية إلى جانب التيار السني. وكان للفقهاء الدور البارز في هذه التحولات، فجل الحركات التي أدت إلى تغييرات كبيرة في البلاد إنما كانت من قبل العلماء والفقهاء، فكان منشأ الدولة الرستمية على يد عبد الرحمن بن رستم، ومنشأ الدولة العبيدية على يد الداعية الشيعي أبي عبد الله الشيعي، وهكذا في غيرها من دول المغرب الأخرى، وأدى هذا إلى احتلال الفقهاء مكانة مرموقة في الدولة والمجتمع عبر التاريخ الاسلامي، فإذا كان دورهم السياسي كان بارزا في كتابات وبحوث المؤرخين والدارسين، فكيف به في جوانب الحياة الأخرى؟ هذا السؤال دفعني إلى البحث عن دورهم وأثرهم ومواقفهم من خلال الاشكالية التالية: كيف كان دور وتأثير فقهاء مالكية المغرب الأوسط في الحياة الاقتصادية في الفترة ما بين؟

وللإجابة عن إشكال المقال، تتبعت بعض مصادر تاريخ وتراجم أعلام بلاد المغرب الإسلامي، مركزا على ما كان من إسهامات لأعلام المغرب الأوسط في قضايا المجتمع،

المبحث الأول: المذهب المالكي واعلامه في المغرب الأوسط:

المطلب الأول: ظهور المذهب المالكي في إفريقية والمغرب الأوسط:

كانت بلاد إفريقية وما يليها من بلاد المغرب الأوسط على مذهب أبي حنيفة، يقول في ذلك القاضي عياض: "وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس وهؤلاء الأعلام التقوا الإمام مالك ولازموه واخذوا عنه، وإليه يعود الفضل في انتشار المذهب في إفريقية، وبما ان الإمام مالك قد توفي سنة 170هـ، ومن هؤلاء العلماء من عاد إلى إفريقية قبل ذلك فهذا يعني أن المذهب المالكي بدأ ينتشر في إفريقية منذ حياة الإمام أي منذ النصف الثاني من القرن الثاني، ما يعني أن المذهبين المالكي السني والإباضي الخارجي تزامنا في الظهور في بلاد المغرب.

ومع منتصف القرن الثاني للهجرة شهدت بلاد المغرب الأوسط ظهور ونشأة السلطة الرستمية الإباضية من 160 حتى 296، أي حوالي قرن ونصف، وخلفهم العبيديون الشيعة من سنة 296 حتى سنة 440هـ⁽¹⁾ إثر ذلك تعود بلاد المغرب إلى مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك الذي يبقى سائداً في كل المغرب رغم جميع التحولات السياسية التي عرفتها البلاد فيما بعد، وفي هذه الفترة تعرف بلاد المغرب الأوسط بروز حواضر جديدة، وتداولت عليها حكومات متعددة تبدأ بحكم الصنهاجيين الحماديين للجهة الشرقية وعاصمتهم بجاية⁽²⁾ وفي أواخر القرن الخامس كان صنهاجة المثلثين من المرابطين في تلمسان⁽³⁾ والجهة الغربية، واستمرت بلاد المغرب الأوسط على يد صنهاجة إلى سنة 547هـ حيث دخلها عبد المؤمن بن علي في جيش الموحدون المصامدة⁽⁴⁾ وعلى إثر ضعف سلطة الموحدون تبرز دول جديدة في تتمثل في الحفصيين في إفريقية وشرق المغرب الأوسط، والزيبانيين في تلمسان، والمرينيين في المغرب الأقصى.

المطلب الثاني: ازدهار حواضر المغرب الأوسط اقتصاديا وعلميا:

وفي هذه الفترة الممتدة من القرن الخامس الهجري إلى القرن الثامن، تبرز كل من بجاية وتلمسان كأبرز حواضر المغرب الاسلامي خاصة في الثقافة والعلوم، حيث شهدتا فترة ازهار واستقطاب للعلماء والطلاب، بدليل ما نُسب إلى الحاضرتين من أعلام في شتى العلوم، وهو ما تشهد به كتب تراجم علماء بجاية وتلمسان، ككتاب "عنوان الدراية"⁽⁵⁾ للغيريني عن علماء بجاية، وكتاب "البستان" لابن مريم عن علماء تلمسان⁽⁶⁾

وتعتبر الدولة الحمادية إلى جانب الدولتين الرستمية والزيرية، من أهم دول المغرب الأوسط، ويمكن اعتبار بجاية وتلمسان بداية من القرن الخامس الهجري من أهم حواضر المغرب الأوسط عرفنا عصور ازدهار حضاري في الحركتين العلمية والاقتصادية، إذ كانتا الوجهة الأبرز للطلبة والعلماء، وبلغتا درجة كبيرة من التقدم في جميع مظاهره، وقصدهما مشاهير العلم والأدب، فقصده بجاية عبد الحق الاشبيلي وابن سيد الناس اليعمري وأحمد بن خالد المالقي وغيرهم⁽⁷⁾ هذا عن الجانب العلمي أما عن الجانب الاقتصادي، فيقول عنها رشيد بوربية المختص في تاريخ الدولة الحمادية إن المؤرخين والجغرافيين أجمعوا على أن المغرب الأوسط كان مزدهرا إقتصادياً في العهد الحمادي⁽⁸⁾

ويشهد بذلك الجغرافيون والأدباء والرحالة الذين تناولوا نشاط بجاية، ومن ذلك ما قاله الإدريسي حين وصف رخاءها قائلاً: «والخنة تحتزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعثرها تغيير وبها من الفواكه المأكولة والنعم المنتخبة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبد الدهر شباع وأحوالهم صالحة»⁽⁹⁾ وما قيل عن بجاية يقال عن باقي الأقاليم التابعة للحماديين كشرشال وتنس وباديس التي كان أهلها يزرعون الشعير مرتين في السنة⁽¹⁰⁾

وكان الحماديون على علاقات طيبة مع المرية والمرابطين فغدت بجاية أهم مراكز تجارة السلع الواردة من السودان⁽¹¹⁾ وكانت بجاية على علاقات ممتازة مع المدن الايطالية والمدن الاندلسية والمرابطين⁽¹²⁾

ولا تَقِلُّ تلمسان مكانة علمية عن بجاية، كانت مركزاً للعلم والعلماء، تستقطب العلماء من كل الأرجاء، وما يُنسب إليها من أعلام بل أسر توارثت العلم كالمقريين والمرزوقيين والعقبانيين⁽¹³⁾ في شتى العلوم يكفيها مكانة، وكان من أبرز علمائها المتأخرين الونشريسي صاحب أكبر موسوعة لفتاوى فقهاء المغرب والأندلس⁽¹⁴⁾ والفقير الأديب المقري صاحب نفع الطيب⁽¹⁵⁾ وأما من المتقدمين فمنهم الداودي أحمد بن نصر التلمساني^(ت402) الفقيه صاحب الموقف من العبيديين أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة، استقر بتلمسان بعد رحلة إلى طرابلس، اشتهر بموقفه ضد العبيديين وخلفائهم بني زيري، وبرأيه بوجوب الخروج من إفريقية حيث كان يُضطهد أهل السنة، ووجوب الهجرة، يقول عنه القاضي عياض: كان فقيها فاضلا متفننا مؤلفا مجيدا، له حفظ من اللسان والحديث والنظر، أخذ عنه أبو عبد الله البوني، وألف كتاب القاضي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري، وكتاب الأصول، وكتاب البيان، وكتاب الأموال، وغير ذلك، أنكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم بذلك⁽¹⁶⁾ وموقفه من العبيديين وفتواه التي تحث على الهجرة تكشفان

عن اجتهاده في الأحكام، وابتعاده عن تقليد علم من الأعلام، واهتمامه بقضايا المذهب والناس، كما أن تنوع مؤلفاته ينبئ عن اهتمامات واسعة في الحياة بما فيها الجانب الاجتماعي والمالي.

ويعتبر الجانب الأمني هو أهم عنصر للاستقرار السياسي والرخاء الاجتماعي والاقتصادي، وعليه فتوفير الامن هو من التحديات الكبيرة المنوطة بالسلطة السياسية توفيرها، وبالفقهاء الحث عليها والاجتهاد من أجلها، وقد عرف المغرب الأوسط تحديات شتى تؤثر في الحياة الاقتصادية من أهمها توفير الأمن ومواجهة الجفاف والجوائح. وبما أن زحف قبائل الاعراب يُعتبر أكبر خطر تعرضت له بلاد المغرب الأوسط خاصة في المجال الاقتصادي، بداية من منتصف القرن الخامس، واستمر ذلك إلى عصور لاحقة بعد الحماديين، ونحن بصدد عدد من فتاوى فقهاء المغرب وإفريقية، فتاوى امتدى صدورها إلى عصور متأخرة بسبب التأثير الكبير والطويل للأعراب في اقتصاد ومجتمع المغرب الأوسط.

المبحث الثاني: مواقف الفقهاء من الزحف الهلالي :

المطلب الأول: أعراب بني هلال في إفريقية والمغرب الأوسط:

خلال هذا المجال الزمني (5هـ-8هـ) بلاد المغرب الاوسط عرفت عدة أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية من أهمها: خروج العبيديين، وقطع المعز بن باديس الدعوة لهم، والزحف الهلالي وما نتج عنه من نتائج وخيمة، وحدث حالة من الصراع أفضت إلى فترات من التدهور في الاحوال الاجتماعية والاقتصادية، من خلال هذه التحولات نعمل على تتبع مواقف فقهاء المالكية فيها.

خلفت صنهاجة العبيديين في حكم إفريقية والمغرب، وانقسمت إمارتهم إلى إمارة شرقية عاصمتها القيروان وإمارة غربية عاصمتها قلعة بني حماد، ودام حكم الحماديين لبلاد المغرب الأوسط نحو قرن ونصف القرن من مطلع القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السادس الهجري الذي ساد فيه الموحدون ومن بعدهم الحفصيون وفي كل هذه العصور كانت بجاية عاصمة المغرب الأوسط من الجهة الشرقية تقابلها تلمسان عاصمته في الناحية الغربية.

وكان العبيديون قد خلفوا وراءهم مذهبهم الشيعي، إلا أن المعز بن باديس أعلن خلع طاعة العبيديين، وقطع الخطبة لهم بإفريقية سنة أربعين وأربعمائة على عهد المستنصر العبيدي خليفة مصر⁽¹⁷⁾ والمؤكد أن سياسات العبيديين لم تكن لترغي أهل المغرب عن مذهب الإمام مالك الذي ارتضته المغرب وفقهاؤها منذ القرن الثاني الهجري، وهو ما دفع المعز إلى قطع اسم خلفاء القاهرة الفاطميين من خطب الجمعة وذكر اسم الخليفة العباسي في بغداد⁽¹⁸⁾ ولم يتحمل المستنصر العبيدي ذلك، وأرسل إلى المعز بن باديس في ذلك، فأغلظ ابن باديس في الجواب، وكان وزير المستنصر الحسن بن علي اليازوري⁽¹⁹⁾ فأشار عليه بإرسال زغبة ورياح، وهما قبيلتان من العرب، وكان بينهم حرب فأصلح المستنصر بينهم، وجهزهم بالأموال، فساروا واستولوا على برقة، فسار إليهم المعز بن باديس فهزمه وساروا إلى إفريقية، وقطعوا الأشجار وحصروا المدن ونزل بأهل إفريقية من البلاء ما لم يعهدوا مثله⁽²⁰⁾ وأحدثوا اختلالاً عاماً أثر على الواقع الاجتماعي والاقتصادي، واضطربت كثير من التنظيمات الاقتصادية، ومنها نظام ملكية الأرض⁽²¹⁾ وعاث هؤلاء الأعراب فساداً في الأرض، شمل المدن والأرياف، فأتوا على الأخضر واليابس، ما أدى إلى هجرة أهلها، وزوال نشاطها، وهو ما جعل ابن خلدون يحكم على أن الأعراب ما دخلوا قرية إلا أفسدوها حين

قال: وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه(22) لقد خربت هذه القبائل القيروان بعد أن كانت حاضرة المغرب، ودار العلم والعلماء ومقصدا للطلبة، فلما استولى عليها الخراب، تفرق أهلها في كل وجه... (23)

وما قيل عن خراب حواضر إفريقية يُقال عن الحواضر الشرقية للمغرب الأوسط التي كانت هي الأخرى عرضة لهجمات الأعراب يقول ابن خلدون: «وإفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراناً(24) ولا شك أنه مع هذا الزحف الهلالي تراجعت أحوال المجتمع الاقتصادية والاجتماعية، وفقدت بعض الأقاليم مكانتها ومنها قلعة بني حماد والمسيلة وغيرها من المدن التي اكتسحتها الأعراب ما أدى إلى حدوث هجرة عن هذه الحواضر. ووقف فقهاء الحماديين ومن جاء من بعدهم أمام أول امتحان لهم، فكيف كان موقف فقهاء الدولة الحمادية من الهجمة الهلالية؟

المطلب الثاني: موقف الفقهاء من الأعراب:

رغم دخول هؤلاء الأعراب بلاد إفريقية والمغرب وانتصاراتهم، وإحداثهم ما أحدثوا من الخراب إلا أن أهل المغرب وفقهاؤه بقوا متمسكين بمذهبهم المالكي، وأدت هذه الهجمة إلى هجر الحماديين للقلعة نحو بجاية (25) وسعى الحماديون إلى استئلاف بعض الأعراب بالاقطاعات والمناصب(26)

وعرفت بلاد المغرب الأوسط منذ العهد الحمادي فقهاءً بارزين كانت لبعضهم مواقفهم في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وانقسم الفقهاء في موقفهم من قبائل الأعراب الزاحفة على إفريقية والمغرب، بين متشدد معهم إلى درجة وجوب قتالهم، وهناك من رأى مصلحة التعامل معهم أولى من الوقوف ضدهم.

فقد أفتى عدد من فقهاء إفريقية و المغرب الأوسط بجرمة التعامل مع الأعراب بل وقتالهم لما صدر عنهم من فساد في الأرض أهلكت الحرث والنسل، وأضر بالمال والعباد، وهذه الفتاوى لا تنتمي إلى عصر واحد بل عصور مختلفة مرّ بها المغرب الأوسط، ما يعني أن كثيراً من الأعراب بقي يمثل تهديداً للأمن ونخباً للمال، ومن بين الذين أفتوا بقتالهم وحرمة التعامل معهم، السيوري(27) وهو من المتقدمين الذين أفتوا بعدم جواز التعامل معهم (28)

ويعتبر ابن عرفة (ت 803هـ) (29) أحد أشهر الفقهاء الذين دعوا إلى محاربة الأعراب ومنع فسادهم، وقد ذكر ذلك تلميذه البرزلي أن الأعراب لما نزلوا بتونس وهما بإفساد كرومها نذب ابن عرفة الناس لقتالهم وذكر لهم قول مالك وما ورد في قتال المحاربين من الفضل (30) وهذا الموقف دليل على ما أدى إليه الأعراب من تخريب أثر في حياة الناس ونشاطهم الاقتصادي، ويشمل ذلك وما خلفته من نتائج كارثية على الفلاح ومنتوجه، تتمثل في حروبهم واعتداءاتهم، وتخريبهم للحقول الفلاحية، وتمادوا إلى التحكم في ملكيات الناس، وتجويعهم، ومنع أرزاقهم، وتهجيرهم، وقطع الطريق على حركة الناس والقوافل التجارية، وهنا سئل الفقيه ابن عرفة عن محاربة قطاع الطرق، من أعراب المغرب الأوسط الذين يُقدر عددهم بعشرة آلاف فارس أو أكثر، اشتبهوا بشن الغارات واستحلال دماء الناس وحرمتهم فكان جواب ابن عرفة أن جميع ما ذكر من قتال هؤلاء وجهادهم والإشارة لثواب مجاهدتهم ورجحانه على جهاد الكفار حق صحيح لا ينبغي لمسلم مخالفته(31)

وكانت هذه الفتوى ردا على فتوى فقهاء تلمسان الذين رفضوا الإفتاء بقتال عرب سويد ورياح وبنو عامر، وقد يكون لهذا التعارض في الفتوى علاقة بالسياسة والسلطة القائمة في المغربين الأدنى والأوسط (32) وإلى جانب ابن عرفة أفتى معاصره أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ) عالم بجاية ومفتيها (33) بتحريم التعامل مع الأعراب بيعاً وشراءً لما عُرفوا به من غضب وظلم (34)

مقابل الفئة السابقة من الفقهاء الذين أفتوا بقتال الأعراب، هناك فئة أخرى من الفقهاء من رأى غير ذلك، وأجاز التعامل مع القبائل الهلالية، ومنهم "أبو محمد عبد الله بن بختي الزواوي" في جواب له على نازلة نزلت بإفريقية، وذلك أنه لما حصر الأمير أبي حفص "تونس" تفرق العرب " والمدونة"، أما الفقه وذلك أن الطعام المجلوب لا يعلم عين مالكة، ولو قام شخص يطلبه ما حكم له بأخذ هذا الطعام المجلوب اتفاقاً. وقال بعضهم: بالمنع من ذلك لأن في ذلك إعانة لهم على الغضب، فقال الشيخ عند ذلك: فالمنع من ذلك ليس هو لكون هذا ليس بملك لهم. وإنما هو لمعنى آخر، مع أن هذا لا يمنعهم من الغضب والعداء، وهم إن لم يشتروا منهم يرفعونه إلى موضع آخر ويبيعونه أو يأكلونه (35) ولعل هؤلاء الفقهاء الذين دعوا إلى التعامل مع الأعراب رأوا في ذلك استمالتهم إليهم، والاستفادة منهم، وتجنب المواجهة معهم التي لا طائل من ورائها والبلاد تتجاذبها صراعات أخرى. على قراها فنهبوا الأرزاق وقطعوا السبل، ثم جلبوا الطعام إلى البلد لبيعته، فتوقف أكثر الناس عن شرائه، فسئل من بها من العلماء، فأجاب هذا الشيخ بجوازها، فأخذ الناس بفتواه، وقال - لما سئل عن سبب هذه الفتوى -: (ولكن ذلك عندي مقتضى الفقه، وهو - أيضاً - جائز على مذهب "الموازية"

المبحث الثالث: موقف الفقهاء من تدرج الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع المغرب الأوسط:

المطلب الأول آثار الحرب والصراع في تدهور الأوضاع الاقتصادية للمغرب الأوسط:

إلى جانب خطر الأعراب الذين هددوا استقرار المغرب الأوسط هناك خطر الحروب والصراعات الداخلية والخارجية، فبعد سقوط الدولة الموحدية انقسمت بلاد المغرب بين سلطة الحفصيين في إفريقية، وسلطة الزيانيين في تلمسان وما جاورها، وسلطة المرينيين في المغرب الأقصى، وخلال هذه الفترة كانت بلاد المغرب الأوسط عرضة للتوسع الحفصي من جهة والمريني من جهة أخرى وذلك من حين لآخر هذا من جهة ووقوع صراعات داخلية بين القبائل من جهة ثانية، مما جعل أهالي القرى والمدن وأراضيهم تتأذى من هذه التوسعات والصراعات، فكيف أثرت هذه الأحداث على الواقع الاقتصادي والاجتماعي؟ وكيف كان موقف الفقهاء ودورهم للحد من الآثار السلبية لهذا الصراع؟

تعرضت مدينة تلمسان للحصار عدة مرات من قبيل الحفصيين والمرينيين، وأدى ذلك إلى تضرر أهلها وسوء أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، فتأثرت الزراعة والتجارة والصناعة بفعل الحروب والحصار والحرق والاعتداء المتكرر، ومن ذلك الاحتلال الحفصي لتلمسان 640هـ، وأخذت الجباية من أهلها (36) ولم يقف المرينيون عند هذا الحد فقد عاود أبو الحسن المريني حصاره سنة 737 فحاصرها واقتحمه ونهبها (37)

واستغل زعيم بني توجين محمد بن عبد القوي هذا الهجوم المريني ليتأثر من الزيانين، وعظمت نكايه بني توجين فيها بتخريب الرباع وانتساف الجنات وقطع الثمار وإفساد الزرع وتحريق القرى والضياع لما كان يغمراسن يعاملهم في بلادهم بمثل ذلك أو أكثر (38)

لأن الحرب والفتن والاضطرابات كادت تكون الصفة الأعم في بعض الفترات لبلاد المغرب الاسلامي عموماً، والمغرب الأوسط خاصة (39) كما تقول إحدى الدراسات أنه: لا يكاد يخلو عقد من العقود من الحرب والصراع بسبب التنافس بين دول المغرب، وكان المغرب الأوسط الأكثر تضرراً... فكان الصراع سمة العصر، وسبباً من أسباب نقص الغذاء (40).

واعتقد أن تضرر المغرب الأوسط دون غيره من مناطق المغرب الأخرى، لموقعه في الوسط هذا من جهة ومن جهة ثانية لغياب سلطة قوية تبسط هيمنتها على كامل أرجائه، فتحد من نزاعات قبائله، و تسد الفراغ الداخلي، وتمنع الطمع الخارجي، على غرار ما قامت به دولة المرابطين في المغرب الأقصى إذ أتمت نزاع قبائل زناتة .

المطلب الثاني: دور الفقهاء في تحسين أوضاع الناس ورفع الغبن عنهم:

أسهم علماء المغرب الأوسط في بعض الفترات في تحسين أوضاع الناس الاجتماعية والاقتصادية بصور شتى إما بالدعم المالي أو التدخل لدى السلطات المعنية لمعاينتهم ومساعدتهم، وهناك من أسهم في حفظ الاستقرار العام لبحاية ومن هؤلاء الفقهاء ابن الغماز الأنصاري (41) وهو من الفقهاء الوافدين تولى قضاء بحاية فكانت له صلابة وسياسة ووقوف مع الحق ضد العمال الظلمة، يصف الغبريني أحد موافقه: ((ولما انفصل جيش بحاية مع جيش إفريقية لحصار مليانة وبقيت البلاد شاغرة، عاث المفسدون في الخارج وأفسدوا، وامتدت الأيدي ووقع هرج عظيم، فقام يأمر الناس، ووقف خير موقف، وحفر الحفير على البلاد وشيد ما احتاج إلى التشييد من الأسوار، وظهر من عقله وفضله ونبله وجده واجتهاد ما حمد به أمره وجل به قدره، وبعد انقضاء هذا العارض ورجوع الجيش إلى الوطن، استدعى لحاضرة أفريقية وقدم للقضاء بها، فظهر من أمره بما أضعاف ما ظهر ببجاية، وكان محبوباً عند الناس لقربه منهم (42)

ومن الفقهاء الذين التفتوا إلى الفئات المحرومة أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي (43) ومن ذلك ما حكاه الغبريني عن أحد فقراء بحاية المتجردين، أنه قال: أصبحت يوماً وليس لنا قوت ولا شيء من الأشياء، وقد ولدت المرأة طفلة، فانقبض باطني، وتشوش علي حالي واشتد قلقي، فخرجت هائماً بنفسي إلى أن دخلت مسجد النطاعين، فجلست فيه، وإذا برجل قد دخل علي في المسجد وأتى إلى القبلة فركع ركعتين خفيفتين وجلس متوجهاً، قال الفقير: فقلت في نفسي، أن هذا الرجل الداخل خفف في تحيته، ولو أطال قليلاً لكان أحسن، قال الفقير: فرأيت الرجل المذكور قد التفت إلي وقال لي: أيهما عندك أحسن؟ الذي يخفف في صلاته أو الذي تلد امرأته فيهرب عنها ويتركها دون شيء؟ قال: فافشعر بدني وتوهمت ثم قلت: آه والله يا سيدي قد فعلت وكان ما ذكرت، فادع الله لي، قال: فمد يده وناولني صرة فيها دراهم وقال لي: أنفق منها ولا تعدها. فقال الفقير بقيت أنفق على أهلي وغيري من الصرة حتى عددتها حينها انقضى المال الذي فيها (44).

إلى جانب ما عرفته بلاد المغرب الأوسط من حالة الصراع السياسي وما نتج عنه من خراب، عرفت سنوات من الجفاف والقحط، ووصل الحال إلى درجة أن بيعت الشربة الواحدة من الماء بربع دينار (45) فأذا بيع الماء بالشربة فكيف للأرض أن تُسقى؟! إن هذا الجفاف أدى إلى أوضاع مزرية وانتشار الأوبئة والمجاعات ومنها الوباء العام سنة 749هـ (46)، كما كان طاعون سنة 764هـ، وأدت مجاعة سنة 698 إلى ارتفاع الاسعار يقول التنسي: بلغ الرطل من الملح دينارين، وكذلك الزيت والسمن والعسل واللحم، ذكر بعضهم أن الدجاجة بيعت بثمانية دنانير ذهبية(47)

ويرصد لنا بوتشيش في بحثه عن ثقافة الطعام أيام أزمات المغرب والأندلس ان أقدم الناس أيام المجاعات إلى أكل كل غريب مقزز، بل إلى المحرمات بنص الشرع، ومن الأمثلة على ذلك أكلوا جلود البقر والأصماغ، بل أقدم بعضهم من شدة الجوع أن أكلوا فضلاتهم، والمتاجرة فيها بالبيع والشراء(48)

وقف كثير من الفقهاء إلى جانب المحتاجين لرفع الغبن عنهم، ويأتي هذا الموقف في صور شتى إما بالعتاء المباشر لهم، أو حث الأغنياء والسلطة على ذلك، أو المساهمة في حل مشاكلهم، أو الدعاء والتضرع فكان للفقهاء والمتصوفة الأثر الأبرز أيام الجوائح في التضامن والدعاء والاستسقاء، وظهور الكرامات، ومن ذلك ما ظهر للولي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي (637هـ) الأندلسي الأصل المراكشي الدار، نزيل بجاية، فحين أصاب الناس قحط وجفاف ببجاية، ووصل الزق من المياه إلى أربعة دراهم، فدعا الله بأن يمطرهم، فاستجاب الله وأمطرهم مطرا غزيرا، وأخذ يغسل ويشرب ويقول مرحبا بقريب عهد من ربه(49) ووظف الفقهاء والصلحاء الزوايا أيام الجوائح والمسغبات والمحن لاستقبال فيئات المحتاجين والمعدمين، فكان داراً لإوائهم، يجدون فيها المطعم والملبس والمبيت.

وأسهمت أسرة ابن مرزوق بدورها في تحسين أوضاع الناس ومنها العالم الفقيه أبو العباس مرزوق(681هـ- 741) يذكره المترجمون بأنه من أصحاب الصدقات، والعتاء للطلبة، يقول صاحب المناقب: كانت له مطاعم من قمح ولحم، وفحم... فإذا كان يوم الثلج فتح مطمورة من قمح وأخرى من فحم، وتصدق بالزرع والفحم(50) ..

والعالم الفقيه أبو عبد الله بن أبي بكر مرزوق التلمساني، خطيب مسجد العباد، كان مقربا للسلطان أبي سالم المريني(51) عُرف بمساعدته للفقراء والمحتاجين، ويذكرهم في دعائه على غرار ما كان يفعل جده(أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (629) أما أبو العباس ابن مرزوق (ت1340/741): كانت له لقاءات مع السلطان أبي تاشفين الأول بجامع العباد، في شأن بعض المساجين، فيأمر السلطان بإطلاق سراحهم(52)

تفيد ملوك الدولة الزيانية في فترات الرخاء بالجباية الشرعية لكن لما تراجعت أوضاع الدولة وآلت إلى الضعف، فُرِضت ضرائب ومكوس ومغارم أرهقت الناس(53) وهذا الأمر لم يقتصر على الزيانيين بل كان سلوكا تنتهجه كل دولة تنتقل من القوة و الرخاء إلى الضعف، ويصف حسن الوزان -في رحلته - حالة التزدي التي عليها أهل المسيلة بسبب الضرائب: «والسكان كلهم صناع أو فلاحون يرتدون لباساً رديئاً لفقرهم، بسبب الأعراب الذين يسلبون مداخلهم، وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم

بالضرائب، وقد اندهشت للفقير السائد بالمسيلة عند مروري بها»⁽⁵⁴⁾ وهذا وصف لبعض ما ألم بأهل المغرب الأوسط من عوامل بشرية أدت إلى تردي أحواله.

وحارب بعض الفقهاء المكس والمكاسين، ومن هؤلاء الفقهاء الفقيه الصوفي أبو الربيع سليمان بن المعز الصنهاجي (ت 779هـ) المعروف بالتلمساني، فكان فقيها ورعا معظما للعلم، يُذكر عنه أنه حذر وتوعد بالعقوبة أحد الوزراء إن هو أخذ المكس، كما شارك الصوفي أبو عبد الله بن شعيب في ضرب المكاس محتجاً بقوله: ليس في الشريعة مكس⁽⁵⁵⁾.

ويتولى المحتسب تأديب المتجاوزين لقوانين التعامل الشرعي، ويكون التأديب حسب التجاوز المرتكب ومن مظاهر التأديب الضرب بالدرة، والتقييد بالحبل، وإن كان الأمر متكرراً يتم التشهير به ومنعه من دخول السوق⁽⁵⁶⁾

وشارك بعض العلماء في التجارة واستعملوا فوائدهم للاعتناء بالفيئات الاجتماعية المعوزة، والفقيرة⁽⁵⁷⁾ ومن ذلك منح إبراهيم بن يخلف التنسي أبا العباس بن القطان دراهم قراضا وانصرف به إلى حانوته في القيسارية حيث اشترى ابن القطان 80 برنسية بيض للأطفال (الغفارة) سعر الواحد منها ربع دينار، أي اشترى ما قيمته 20 دينار، وباعه لرجل من بني عامر بسعر دينار وربع للغفارة الواحدة، أي أنه جنى 100 دينار، فكان ربحه 80 دينار واشترى بالربح دارا لمقارضة التنسي الواقعة بحارة الرماة، ودارا لنفسه وهي دار ابن النجار اليوم في ملكية ابن مرزوق⁽⁵⁸⁾

المطلب الثالث: فتاوى ومواقف فقهاء المغرب الأوسط من تجاوزات اليهود وهجرة الأندلسيين

1- موقف المغيلي في الحد من تجاوزات يهود توات في المال والسياسة:

تعتبر فنوى المغيلي (ت 909هـ) ضد يهود توات من أبرز فتاوى علماء المغرب ضد هذه الفئة، ومن أهم المواقف التي وقفها محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني⁽⁵⁹⁾ إذ ألزمهم الذل بل قتلهم وهدم كنائسهم⁽⁶⁰⁾

ولم يكن موقفه محل إجماع إذ وقع له بسبب ذلك أمور مع فقهاء وقته، إذ نازعه في ذلك الفقيه عبد الله العصنوني⁽⁶¹⁾ قاضي «توات»، وراسلوا في ذلك علماء «فاس» و «تونس» و «تلمسان»، فكتب في ذلك الحافظ التنسي كتابة مطولة، بصواب رأي حكم المغيلي، ووافق عليه الإمام السنوسي⁽⁶²⁾

وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات أمر المغيلي جماعته فلبسوا آلات الحرب وقصدوا كنائسهم وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها⁽⁶³⁾

وتنقل المغيلي بعد ذلك إلى ممالك الصحراء من بلاد أهر ودخل بلاد تكدة ثم دخل بلاد كنو وكشن من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو ثم رحل لبلاد التكرور وكان في كل ذلك يدعو أمراء الممالك إلى التزام الشرع، وبلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود، فانزعج لذلك، وطلب من السلطان القبض عليهم، وأنكر عليه أبو المحاسن محمود بن عمر إذ لم يفعلوا شيئاً، فرجع عن ذلك، وأمر بإطلاقهم، ورحل لتوات فأدرسته المنية بها، فتوفي هناك سنة تسع وتسعمائة⁽⁶⁴⁾

ويعطينا الدكتور سعد الله تصوراً لحثيات هذه القضية التي تشمل جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية، لقد وجد اليهود صولتهم حينما أحسوا بضعف الدولة السياسي داخليا وخارجيا فتواطؤوا مع بعض الأمراء فيعمل اليهود على استعمال المال لاستمالة الأمراء، ومقابل ذلك يتغاضى الأمراء عن ممارسات اليهود التي تشمل بناء بيعة لهم وفتح المتاجر وتأسيس الشركات والاستيلاء على الطرق التجارية. وهذا ما لم يتقبله المغيلي فاستفتى علماء تلمسان وفاس وتونس على هدم بيع اليهود في توات فانقسموا، ولكن الأغلبية كانت مع الرأي القائل بوجوب هدمها فهدمت وشارك المغيلي نفسه في ذلك⁽⁶⁵⁾

ما نلاحظه هنا أن اليهود وعلى مر التاريخ كانوا يستعملون نفوذهم المالي للسيطرة على مقاليد السلطة والمال والدين، وبذلك تصبح شوكتهم أقوى، وعليه فهذه الفتوى كما يقول سعد الله هي مسألة سياسية بالدرجة⁽⁶⁶⁾ أدرك المغيلي حثياتها، وأصدر أحكامه، ولا علاقة لهذه الاحكام بالتعصب الديني ضد أهل الذمة.

2- حفظ الدين أولى من المكاسب المادية في فتوى الونشريسي للأندلسيين :

من بين القضايا ذات الطابع الديني والاجتماعي مسألة الهجرة عموماً وهجرة مسلمي الأندلس خصوصاً على إثر حركات الاسترداد النصراني، وهنا تحفظ لنا المصادر فتاوى لعلماء المغرب الأوسط كانت لهم أحكامهم في هذه القضية، وأشهر هذه الفتاوى فتوى أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني (ت 914 هـ) التي سماها (أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصراري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج)⁽⁶⁷⁾ وكانت هذه الفتوى كرد فعل على بعض الأندلسيين الذين هاجروا إلى بلاد المغرب الإسلامي، وحين شعروا أنهم لم يجدوا ما كانوا يأملونه من وفرة لأسباب الرزق قرروا العودة إلى الأندلس، ففهم الونشريسي أن هجرة هؤلاء إذن كانت للدنيا وليست للدين بينما الهجرة من أرض الكفار إلى أرض الإسلام واجب شرعي، فأفتى بوجوب الهجرة

وقد عثر الدكتور أبو القاسم سعد الله على فتوى في نفس المجال الزمنى، تعود إلى سنة 910 هـ أفتى بها جار الونشريسي وبلديه محمد بن أبي جمعة الوهراني⁽⁶⁸⁾ المعروف بالمغراوي وهي تذهب إلى عكس ما ذهب إليه الونشريسي وهذه الفتوى موجهة إلى مسلمي الأندلس العاضين على دينهم بالنواجذ في وجه الضغط. وقد أفتاهم محمد الوهراني بالمحافظة على دينهم وتعليم أبنائهم أمور دينهم ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً وبأن عليهم أن يبتعدوا عن التشخيص والصور وأن يقوموا بشعائر دينهم خفية مستعملين لذلك (التقية) وبأن يتظاهروا بالنصرانية مع إبطان الإسلام في القلب. وهي فتوى لا تتفق مع ما ذهب إليه الونشريسي إذ أفتى بوجوب الهجرة إلى بلاد الاسلام، وترك بلاد الكفر⁽⁶⁹⁾

وتعتبر هذه الفتاوى إلى جانب فتوى أحمد بن نصر الداودي التي دعا فيها علماء إفريقية إلى وجوب الهجرة والفرار من العبيديين⁽⁷⁰⁾ على نوع من الاجتهاد في قضايا مصيرية تمس الإسلام والمسلمين ومصيرهم في بلاد وقعت في يد الكافر أو العدو، وهذه المسألة من المسائل المتجددة إلى اليوم.

إلى جانب هذه الاجتهادات فإن التقليد عند كثير من الفقهاء كان مرجعهم، فيرجعون في معظم القضايا المطروحة إلى أقوال مشائخ المذهب المالكي، ويكفون على الفروع ولا يهتمون بالأصول ولا يجتهدون في المسائل الجديدة، بدليل أن جل ما كُتِب في هذه الفترة إن لم نقل كل ما كُتِب في أبواب الفقه وفروعه هي تكرار لمسائل فقهية لا جديد فيها.

وفي هذا نوع من الجمود عن الاجتهاد والتجديد والإبداع، وكان هذا الجمود - في رأي - عاملاً من العوامل التي أدت إلى حدوث تحلف دول المغرب الاسلامي - وهو لا يزال - وانتهى بسقوطها الواحدة تلو الأخرى، ولعل هذا الأمر هو الذي دفع ابن رشد الحفيد إلى تأليف كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه المقارن لعله يريد أن يبين أن مجال الاختلافات الفقهية كثيرة، فأراد أن ينقل الفقهاء إلى باب الاجتهاد، أما حديثنا فقد انتقد مالك بن نبي الفقهاء وحملهم المسؤولية في تحلف وانحطاط الأمة لاهتمامهم بقضايا إما فرعية أو خيالية وتجنبهم خوض القضايا المصيرية للأمة⁽⁷¹⁾ لقد كان تركيز الفقهاء على الفروع دون الأصول والاهتمام بالقضايا الفرعية الخلافية دون غيرها من القضايا المصيرية للدولة، كان ذلك النوع من التطرف طريقاً ممهداً لبروز دعوة ابن تومرت الكلامية والسياسية التي أدركت نقاط ضعف المرابطين المتمسكين بالفروع، فأنتجت وجودهم السياسي والفكري⁽⁷²⁾

خاتمة:

عرفت بلاد المغرب الأوسط أسماء بارزة من أعلام الفقه المالكي والذين أسهموا مساهمة كبيرة في إثراء الحياة العلمية، فكان لبعضهم أثر بارز واجتهاد واضح إزاء كثير من النوازل الطارئة في بلاد المغرب والأندلس على غرار ما رأينا في المواقف والفتاوى من الزحف الهلالي والأعراب، وكذلك مواضيع الهجرة وأهل الذمة، كفتوى الإمام المغيلي والإمام الونشريسي، هذه الفتاوى التي كان لها صدى واسع حينذاك، كما إنها لا تزال فتاوى خالدة نظراً لطبيعة المواضيع الاجتماعية والسياسية التي عالجتها.

إلا أن فتاوى الاجتهاد تُعد شيئاً قليلاً إذا ما قورنت بالتقليد والتركيز على الفروع عند علماء المغرب الأوسط وعموم بلاد المغرب الاسلامي، والمؤلفات في ذلك خير شاهد.

وهناك عدة عوامل أدت إلى إلى التقليد عند الفقهاء تشمل طبيعة العلاقة بشيوخ المذهب التي تصل أحياناً إلى التقديس، ولم نجد ذلك عند الأئمة الأربعة، فرغم أن بعضهم التقى وتلمذ على الآخر إلا أنهم اختاروا أن تكون لهم مذاهبهم وآراؤهم الخاصة بهم، وهناك عامل آخر قد يكون له دور كبير في تحلف الفقهاء عن إثراء الحياة الاقتصادية ألا وهو النظرة السائدة عند فئة من الفقهاء والناس تقوم على الزهد في المال والحياة رغم أن الإسلام حث على الاجتهاد والإبداع والعمل وحفظ المال وكلها من مقاصد الشرع.

الهوامش:

- (1) ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط1، بيروت، 1981، 79/4.
- (2) الدولة الحمادية أسسها حماد بن بلكين في القلعة التي اختطها سنة 398هـ/1007م، واستقل عن ابن أخيه باديس صاحب القيروان سنة 1017هـ/1017م، واستمرت القلعة عاصمة إلى أن نقلها المنصور بن علناس 483هـ، واستمرت الدولة الحمادية إلى غاية دخول الموحدون 547هـ. انظر: رشيد رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الطباعة الشعبية للجبش، الجزائر، 2007.
- (3) الحموي، شهاب الدين الرومي (ت: 626هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 / 2 / 44.
- (4) ابن الأثير الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1997، 8 / 661.
- (5) أُلّف الفقيه قاضي بجاية أبو العباس الغبريني (ت 714 هـ) كتابه: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" وهو يدل على المكانة التي وصلت إليها بجاية في هذه الفترة، وفيه أرخ لأكثر من مائة وأربعين عالماً من علمائها والعلماء الذين قصدوها واستوطنوها. انظر مقدمة المحقق لكتاب: أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979 م ص 8 وما يليها
- (6) أُلّف أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن أبي مريم الشريف الملبتي المديوني التلمساني الفقيه العالم كتابه " البستان في علماء تلمسان" فرغ منه سنة 1014 هـ وذكر فيه مشايخه. انظر: محمد بن محمد سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع: عبد الحميد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003م، 1 / 428.
- (7) الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ص7.
- (8) رشيد بورويبة، الدولة، المرجع السابق، 2007، ص129.
- (9) الادريسي محمد بن محمد بن عبد الله الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409.1 / 261.
- (10) مراكشي (توفي: ق ٦هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط: 1986 م 1 / 175.
- (11) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، ط1، بيروت 1983. ص265.
- (12) موسى عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، ط1، بيروت 1983. ص270.
- (13) المليي مبارك بن محمد الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق: محمد المليي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1986. 2 / 493.
- (14) الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيا والأندلس والمغرب، دار الغرب الاسلامي - بيروت 1981م، خرجة جماعة من العلماء بإشراف د. محمد حجي.
- (15) المقرئ شهاب الدين التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان ط1. 1997. 5 / 340
- (16) عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: جماعة محققين، مطبعة فضالة - محمدية، المغرب 1983-1981 م. 7 / 103.
- (17) عبد الحميد حاجيات، مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الثقافة، س14، ع81، الجزائر. ص40.
- (17) المقرئ أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت: ٨٤٥هـ)، اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. تح: جمال الدين الشيبان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط1، د س. 216/2.
- (18) المرآشي، الاستبصار في عجائب الامصار، 1 / 167. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1995. 9 / 127
- (19) حول اليازوري انظر: المقرئ، المصدر السابق، 2 / 204.
- (20) المقرئ، المفقى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، ط2، 2006. 3 / 213.
- (21) الحبيب الجناحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1986، ص127.
- (22) ابن خلدون، العبر، 6 / 20.
- (23) عبد الواحد المرآشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2006. ص255.

- (24) ابن خلدون، العبر، 1/ 188.
- (25) المراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار 1/ 128.
- (26) الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث 2/ 250.
- (27) هو أبو القاسم، عبد الخالق بن عبد الوارث السيوري، القيرواني، المتوفى سنة 460 هـ قال عياض: خاتمة علماء إفريقية، وآخر شيوخ القيروان، ذو البيان البديع في الحفظ والقيام على المذهب والمعرفة بخلاف العلماء. انظر: اللخمي علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، التبصرة، تح: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2011. ص 12.
- (28) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981. 602/9.
- (29) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ولد سنة 716 نشأ في طلب العلم بحزم وجد، «وقد انتصب - رحمه الله - للتدريس وأخذ عنه جهابذة من أهل العلم ما يقارب النصف قرن... ومن أخذه وتخرج عنه الشيخ البرزلي والشيخ الأبي والشيخ الرصاع والشيخ ابن علوان وأضرابهم من الأئمة الأعلام، انظر: التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد التكروري السوداني، أبو العباس تح: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط2، 2000 م. ص 463.
- (30) ابن الأزرقي الغرناطي، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، وزارة الإعلام - العراق، ط1. 2/ 54.
- (31) الونشريسي، المعيار، 6/ 153. خليلي بختة، دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزينيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، ع15، جانفي 2016. ص 242.
- (32) شخوم سعدي، موقف فقهاء المالكية من القبائل الهلالية بالمغرب الأوسط، مجلة الحوار المتوسطي، ع5، ص: 19.
- (33) شيخ الجماعة بجاية في عصره. نعت بالفقيه الأصولي المحدث المفسر، وقيل: "كان عمدة أهل زمانه وفريد عصره وأوانه" أشهر مؤلفاته كتاب "الأحكام الفقهية. انظر: التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 248.
- (34) الونشريسي، المعيار، 5/ 88.
- (35) الونشريسي، المصدر السابق، 5/ 68.
- (36) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط2، تونس، المكتبة العتيقة، 1996، ص 29.
- (37) ابن خلدون، العبر، 7/ 343.
- (38) السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت: 1315هـ) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب - الدار البيضاء. ، 3/ 33.
- (39) بختة، المرجع السابق، ص 237.
- (40) بختة، المرجع السابق 243.
- (41) يقول الغبريني عن الغماز: الفقيه، الفاضل الجليل، القاضي الكبير الشهير، أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن، ابن الغماز الأنصاري (609-693) من أهل بلنسية، رحل إلى بجاية واستوطنها، ولي قضاء بجاية، وكان مقدما في فصل الأحكام. انظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 119-121.
- (42) الغبريني، المصدر السابق، ص 119-121.
- (43) الشيخ الفقيه، أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي (ت662هـ). مولده بقرطبة وبها نشأ، حُبب إليه العمل الصالح وبغضت له الدنيا، فخرج من بلده دون العشرة الأعوام مهاجرا إلى الله مقبلا على العبادة بعد أن ترك مالا وعقارا، وقصد نحو الشيخ أبي أحمد، وكان من أولياء الله المتقين كراماته لا تعد، وفضائله تجاوزت الإحصاء والعد. انظر: الغبريني، المصدر السابق، ص 174.
- (44) الغبريني، المصدر السابق، ص 174-175.
- (45) يحيى بن خلدون، بغية الرواد 2/ 240.
- (46) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 3/ 161.
- (47) التنسي، نظم الدر، تح محمود آغا، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 132.
- (48) بوتشيش، ثقافة الطعام في زمن المجاعات، المغرب والاندلس، عصور جديدة، جامعة وهران، ع 7 2012/2013 ص 31.
- (49) الغبريني، المصدر السابق، ص 151.

- (50) أبو عبد الله محمد بن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، منشورات الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص: 165
- (51) ابن خلدون، العبر، 414 / 7
- (52) خليلي بختة، دور السلاطين والفقهاء، ص29
- (53) بختة، المرجع السابق، ص26
- (54) الوزان، وصف إفريقيا، تر، محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، 52/2
- (55) الغبريني، عنوان الدراية، ص173
- (56) موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1971، ص52.
- (57) بصديق عبد الكريم، فاطمة بالهوارى، القراض والمضاربة التجارية بالمغرب الأوسط، مجلة عصور، ع 32-33، مارس 2017، ص487
- (58) بصديق عبد الكريم، فاطمة بالهوارى، المرجع السابق، ص487 .
- (59) «محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، أبو عبد الله: فقيه، مفسر، متكلم، له نظم، نسبتته الى مغيلة، قبيلة من البربر، نشأ بتلمسان، كان مقداما على الأمور جسورا جريء القلب فصيح اللسان محبا في السنة جدليا نظارا محققا، كانت له مواقف عدة منها موقفه من يهود توات، وآراؤه المنطقية، له مراسلات ومؤلفات، التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص577. نويهض، معجم أعلام الجزائر ص308.
- (60) التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص576.
- (61) عبد الله العصنوني قاضي توات، أخذ عن أبي العباس: أحمد بن زكرياء المغراوي، وعن جماعة من العقبانين بتلمسان، وعن جماعة من أهل بجاية، توفي 927هـ. انظر: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة المجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1: 1971، 55 / 3.
- (62) التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص576.
- (63) التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص577.
- (64) التنبكي، عن نيل الابتهاج، ص: 577.
- (65) سعد الله أبو القاسم (ت: ١٤٣٥ هـ)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر، ط: ٢٠٠٧ م، عن ط دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى - 1998 م . 54/1.
- (66) تاريخ الجزائر الثقافي 54/1.
- (67) الونشريسي، أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر
- (68) أحمد بن أبي جمعة شقرون الوهراني، (أبو العباس) «أبو العباس: فقيه مالكي، حافظ للحديث، من أهل وهران. رحل الى فاس ودرس بها فنالت دروسه إقبالا عظيما. وعجب الناس من سعة علمه عجبهم من غرابة خلقتة، فقد كان أشقر اللون أحمر العينين جهير الصوت، كما كان سلس العبارة قوي الذاكرة والإستحضار. أخذ عنه كثير من العلماء والطلبة في مختلف العلوم الدينية واللسانية. من آثاره "جامع جوامع الاختصاص والبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان" توفي في العشرة الثالثة من المائة العاشرة للهجرة، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ص347.
- (69) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 55/1-56.
- (70) عياض، ترتيب المدارك، 7 / 103.
- (71) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر - الجزائر / دار الفكر دمشق - سورية، ط3، 1986م. ص42 .
- (72) أحمد شارف، العقيدة وتجلياتها السياسية في فكر ابن تومرت، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، ع8، ديسمبر، 2017 جامعة زيان عاشور، ص258.